

التعظيم والمنة في أن

أبوى رسول الله في الجنة

صلى الله عليه وآله وسلم

للإمام الحافظ المفسر

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

رضي الله تعالى عنه

تحقيق

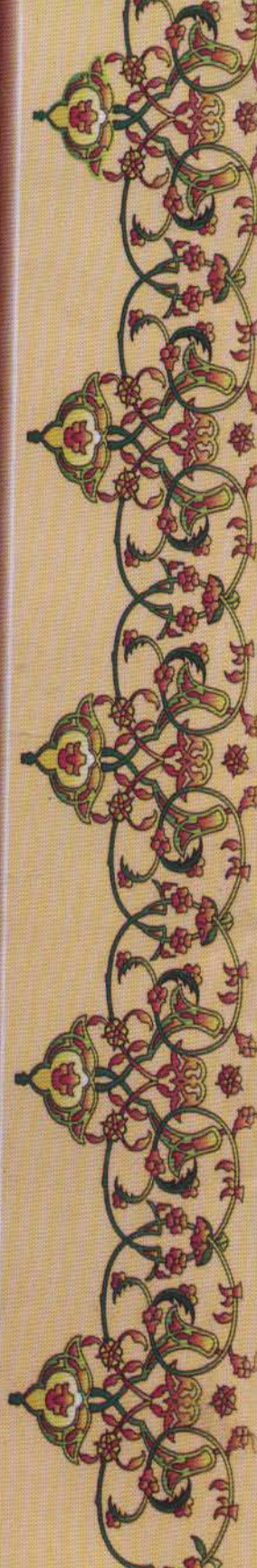
مفتي الديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء

فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

رضي الله تعالى عنه

الناشر

دار جوامع الكلم ت: ٥٨٩٨٠٢٩



التعظيم والمنة في أن أبوى الرسول في الجنة صلى الله عليه وآله وسلم

للإمام الحافظ

سيدى جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطى

رضى الله تعالى عنه

تحقيق العلامة الشيخ

حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية وعضو جماعه كبار العلماء

الناشر

دار جوامع الكلم

ت ٥٨٩٨٠٢٩١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله تعالى الذي تولى حبيبيه ومصطفاه فلم يزل ينقله من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجته من أبوين لم يلتقيا على سفاح قط .

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم القائل في حديثه الشريف ، ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي ولم يصبني شيء من عهد الجاهلية . خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أمي . فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً .

وما نحن الآن بصدد طبع كتاب ، التعظيم والمنة في أن أبوي الرسول في الجنة - صلى الله عليه وآله وسلم ، ليكون سداً في وجوه المنكرين والحاقدين والجاحدين لفضل الله على رسوله والقائلين بأن والدي النبي في النار ➤ وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً .

والتحدث بهذا القول صعب وخطير جداً لأن الأنمة قد نصوا على أنه ليس لنا أن نقول ذلك لأنه يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -
➤ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة .

وسئل القاضي ابوبكر بن العربي أحد أنمة المالكية عن رجل قال:

إن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار .

فأجاب : بأنه ملعون . لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز :
﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيباً ﴾ ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه - صلى الله عليه وآله وسلم -
إنه في النار .

وإنه لشرف - لو تعلمون - عظيم أن تقوم مكتبتنا - دار جوامع
الكلم - بطباعة هذا الكتاب القيم المفيد الذي ذاع خبره بين أهل الإيمان
الصادق والمحبة الخالصة لله ورسوله .

هذا الكتاب الذي يزعم طبعه ونشره أهل الجفوة والجحود الذين
يجحدون فضل الله تعالى على رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - فثارت
ثائرتهم على ما جاء في هذا الكتاب من حقائق أثبتتها الصحاح من كتب
السنة والسير .

فهذا الكتاب لما قرئ له ، فمن قرأه بعين المحبة ارتاح قلبه .
وهدأت نفسه ، ومن قرأه بعين الجحود والذکران اشتعلت في نفسه نيران
الحقد والبغض والغيره .

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله
خالصاً لوجهه الكريم . وأن تكون بهذا العمل المتواضع قد أدينا ولو النذر
اليسير من حق رسول الله علينا . وأن يكون لنا عنده - صلى الله عليه وآله
وسلم - يداً نسعد بها في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون .

دار جوامع الكلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى . وسلام على عباده الذين اصطفى . أفْتَبِتُ بَأْنَ
المختار أن أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم موحدة وحكمها حكم من
تحنّف في الجاهلية وكان على دين إبراهيم الخليل عليه السلام ، وترك
عبادة الأصنام . ، كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه ، وبأن الحديث الوارد
في أن الله أحيأها له ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحفاظ يل هو من
قسم الضعيف الذي يتسامح بروايته في الفضائل خصوصا في مثل هذا
الموطن .

فتضمن هذا الافتاء أمرين محتاجين إلى بيان المستند لكل منهما

(١) الكلام في حديث الإحياء وأنه ضعيف لا موضوع ؛

(فأقول) قال ابن شاهين^(١) في كتابه « الناسخ والمنسوخ » حدثنا
محمد بن الحسين^(٢) بن زياد مولى الأنصار حدثنا أحمد بن يحيى
الحضرمي بمكة حدثنا أبو غزيرة محمد بن يحيى الزهري حدثنا
عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام
ابن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة رضی الله تعالى عنها أن النبي صلى

(١) أبو حفص عمر بن عثمان بن شاهين البغدادي الواضع المتوفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .

(٢) في اللسان - كما سيأتي ابن الحسن فليحذر .

الله عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء ربه عز وجل ثم رجع مسرورا فقلت يا رسول الله نزلت إلى الحجون كئيبا حزينا فأقمت به ما شاء الله ثم رجعت مسرورا قال ، سألت ربي عز وجل فأحيا لى أمى فأمنت بى ثم ردها ، .

أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، وقال الحافظ أبو الفضل بن ناصر : هذا الحديث موضوع ، ومحمد بن زياد هو النقاش^(١) ليس بثقة ، وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان .

(قلت) أما محمد بن يحيى فليس بمجهول فقد ذكره الذهبى فى الميزان والمغنى ، معا فقال محمد بن يحيى أبو غزوة المدنى الزهرى قال الدارقطنى متروك وقال الأزدي ضعيف هذه عبارته فقد عرف بالضعف لا بالوضع ، ومن يترجم بهذا لا يكون حديثه فى درجة الموضوع بل فى درجة الضعيف .

وأما أحمد بن يحيى الحضرمى فليس بمجهول أيضا فقد ذكره الذهبى فى الميزان ، وقال روى عن حرملة التجيبى وليئه أبو سعيد بن يونس . ومن يترجم بهذا يعتبر حديثه .

وأما محمد بن زياد فإن كان هو النقاش كما ذكر فهو أحد العلماء بالقراءات وأحد أئمة التفسير . قال الذهبى فى الميزان ، صار شيخ المقرئين فى عصره على ضعف فيه أثنى عليه أبو عمرو الدانى وحدث

(١) قوله ومحمد بن زياد الخ قال فى لسان الميزان ما نصه محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المرصلى ثم البغدادي النقاش المقرئ المفسر اهـ ومنه يعرف اسمه .

بمناكير^(١) [قلت]^(٢) ومع ذلك فلم ينفردا^(٣) به فإن للحديث طريقين آخرين عن أبي غزوة .

قال الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله المكي الطبري^(٤) في كتابه ، سيرة النبي ، أخبرنا أبو الحسن أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي إجازة أخبرنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن الأخضر حدثنا أبو غزوة محمد بن يحيى الزهري حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة رضی الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا قال ، سألت ربي فأحيا لي أمي فأمنت بي ثم ردها ، .

وأما الذهبي فلم يعال الحديث بواحد من الثلاثة المذكورين^(٥) بل قال في (العيزان) ، عبد الوهاب بن موسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد يحدث - أن الله أحيا لي أمي فأمنت بي ... الحديث ، لا يدري من ذا الحيوان الكذاب فإن هذا الحديث كذب مخالف لما صح من أنه عليه السلام استأذن ربه في الزيارة والاستغفار لها فلم يأذن له انتهى .

(١) قوله وحدث بمناكير الخ في اللسان كان النقاش يكتب في الحديث والغالب عليه القصص وقال الزرقاني كل حديث النقاش منكر قال الخطيب في أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة ١ هـ .

(٢) زيادة اقتضاها المقام لأن هذا القول من المؤلف لا من الذهبي تأمل .

(٣) أي محمد بن زياد وأحمد بن يحيى .

(٤) المتوفى سنة أربع وتسعين وستمائة .

(٥) أي كما ذكره الحافظ أبو الفضل بن ناصر .

وحاصله أنه أعلّ الحديث بأمرين :

(أحدهما) : جهالة عبد الوهاب ابن موسى .

(والثاني) : مخالفته للحديث الصحيح المذكور .

والجواب عن الأمر الأول : أن عبد الوهاب معروف من رواية

مالك وقد روى هذا الحديث أيضا عنه .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب في كتابه السابق واللاحق ، أخبرنا

أبو العلاء الواسطي حدثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي حدثنا أبو

طالب عمر بن الربيع الزاهد حدثنا علي بن أيوب الكعبي حدثنا محمد بن

يحيى الزهري أبو غزية حدثنا عبد الوهاب بن موسى حدثنا مالك بن أنس

عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة رضي الله

تعالى عنها قالت [حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

حجة الوداع فمرّ بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم

فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إنه طفر

فنزل فقال : يا حميراء⁽¹⁾ استمسكي فاستندت إلى جنب البعير

فمكث عنى طويلا ثم عاد إلى وهو فرح متبسم فقلت له بأبي

أنت وأمي يارسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم

فبكيت لبكائك ثم إنك عدت إلى وأنت فرح متبسم فمّم ذاك

يارسول الله قال : ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها

فأحيها فأمنت بي وردها الله تعالى [أخرجه من هذا الطريق

(1) تصغير حمراء أى بيمناه للتحبيب كقولهم يا بني ويا أخی .

الدارقطنى فى ، غرائب مالك ، وقال باطل وأخرجه ابن عساكر فى ،
غرائب مالك ، أيضاً وقال منكر وأورده ابن الجوزى فى «الموضوعات» ،
أيضاً ولم يتكلم على رجاله .

وقد قال الذهبى فى «الميزان» ، على بن أيوب أبو القاسم الكعبى
روى عن ابن يحيى الزهرى لا يكاد يعرف .

(قلت) قد بان بهذا الطريق أن عبد الوهاب بن موسى هذا يقال
له أبو العباس الزهرى^(١) . ذكره الخطيب فى الرواة عن مالك فأخرج من
طريق سعيد بن الحكم بن أبى مريم المصرى حدثنا عبد الوهاب بن موسى
الزهرى حدثنا مالك حدثنى عبد الله بن دينار عن سعد مولى عمر بن
الخطاب أن كعب الأحماس قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إنا
لنجدك فى كتاب الله تعالى على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا
فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة ، وهذا الأثر معروف
عن مالك . أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» ، عن معن بن عيسى عن
مالك بسنده ومثله سواء .

فزالت جهالة عين عبد الوهاب برواية ثان عنه بروايته المعروفة
وكان الحديث عنه من طريقين عن مالك عن أبى الزناد عن هشام ، وعن
عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام فرواه مرة هكذا ومرة هكذا .

وفى هذا الطريق زيادة فائدة هى أن ذلك وقع فى «حجة الوداع» ،

* * *

(١) ولكن لم يذكر أبو العباس فى هذا الطريق فعلمه سقط من الناسخ وسيجىء التصريح بكنيته هذه .

الجواب عن الأمر الثاني : وهو المخالفة لحديث الاستئذان
في الاستغفار عند الزيارة فإن قصة الزيارة كانت ، عام الفتح ، كما في
حديث بريدة وذلك قبل هذه القصة بعامين . ولهذا أورده ابن شاهين في
، الناسخ والمنسوخ ، فأورد حديث الزيارة والنهي عن الاستغفار وجعله
منسوخا وأورد بعده حديث السيدة عائشة - رضی الله تعالى عنها - في
الإحياء وجعله ناسخا وذلك حسن جلي .

وتابعه القرطبي على ذلك فقال في ، التذكرة ، بعد أن أورد
حديث عائشة في إحياء أمه وحديث إحياء أبيه : ولا تعارض لأن
إحياءهما متأخر عن الاستئذان في الاستغفار لها بدليل حديث عائشة في
حجة الوداع ولذلك جعله ابن شاهين ناسخا لما ذكر من الأخبار .

وقال ابن شاهين أيضا حدثنا يحيى بن صاعد حدثنا إبراهيم بن
سعد وزهير بن محمد وله اللفظ قال حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا
مصعب بن حرب عن علي بن الحكم عن عثمان بن عمير عن أبي وائل
عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال جاء ابننا مليكة فقالا يا رسول الله
ان أمنا كانت تكرم الضيف وقد أدت في الجاهلية فأين أمنا ؟ فقال أمكما
في النار ، فقاما وقد شق ذلك عليهما ، فدعاهما رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم فقال إن أمي مع أمكما فقال منافق من الناس ما يعني هذا عن
أمه إلا ما يعني ابننا مليكة عن أمهما فقال شاب من الأنصار لو أن أبويك
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما سألتكما ربي فيعطيني فيهما
وإنى لقائم المقام المحمود .

وأخرجه الحاكم في «المستدرک» ، وقال صحيح وفي هذا الحديث فوائد .

— منها أن قوله إن أمي مع أمكما . كان قبل أن يسأل ربه فيهما فلا ينافيه حديث إحيائهما وإيمانها حين سأل ربه في ذلك .

— ومنها أنه صلى الله عليه وآله وسلم جَوَّزَ أنه إذا سأل ربه فيهما يعطيه ، فدل ذلك على إمكانه .

— ومنها أن أصحابه جوزوا ذلك عليه واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضى ذلك .

* * *

وقال ابن سعد في «الطبقات» ، أخبرنا عفان بن مسلم حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت بن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال : قال العباس - رضي الله تعالى عنه - ، يا رسول الله ما ترجو لأبي طالب قال كلُّ الخير أرجو من ربي ، فإذا كان هذا رجاءه لأبي طالب مع أنه أدرك البعثة وعرض عليه الإسلام فأبى فلا يوبه أولى .

وقال السهيلي في كتابه «الروض الأنف» ، روى حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدى أبي عمر أحمد بن أبي الحسن القاضى بسند فيه مجهولون ذكر أنه نقله من كتاب أنتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد رفعه إلى أبي لزناد عن هشام عن عروة عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أخبرت ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما له فأما به ثم
أماتهما ،... والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن
شيء ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم أهل أن يختصه الله بما شاء من فضله
وينعم عليه بما شاء من كرامته . انتهى

كلام الحافظ بن دحية والرد عليه :

وقال القرطبي ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية أن الحديث
في إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم والاجماع قال الله تعالى
﴿ ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾ (١) وقال : ﴿ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِر ﴾ (٢) فمن
مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجوعه بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه
فكيف بعد الإعادة .

وفي التفسير أنه عليه الصلاة والسلام قال ليت شعري ما فعل
أبوأي فنزل ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ (٣) .

قال القرطبي وفيما ذكره ابن دحية نظر وذلك أن فضل النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وخصائصه لم تزل تنزلي وتتوالى وتتابع إلى مماته صلى
الله عليه وآله وسلم فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه وليس
إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعاً عقلاً ولا شرعاً (٤)

فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله

(١) سورة النساء آية ١٨ .

(٢)

(٣) سورة البقرة آية ١١٩ .

(٤) إن الذي أحيا هو الله وليس نبيه وإذا كان الأمر معلق بالله تعالى فتحدثت ولا حرج فسبحانه
المحيى المعيت

ركان عيسى عليه السلام يحيى الموتى .

وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أحيا الله على يديه جماعة

من الموتى .

وإذا ثبت هذا فما يمنع من إيمانها بعد إحيائهما زيادةً في كرامته
وفضله مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون ذلك مخصوصا بمن مات
كافرا وقوله فمن مات كافرا إلى آخر كلامه مردود بما روى في الخبر أن
الله تعالى رد الشمس على نبيه بعد مغيبها حتى صلى على رضى الله تعالى
عنه ذكره الطحاوى وقال إنه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا
وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون نافعا لأبوى النبي صلى
الله عليه وآله وسلم وقد قبل الله تعالى إيمان قوم يونس عليه السلام وتوبتهم
مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحد الأقوال وهو ظاهر القرآن .

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانها انتهى كلام

القرطبي .

قلت .. استدلاله على تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس في غاية
الحسن ولهذا حكم بكون الصلاة أداءً وإلا لم يكن لرجوعها فائدة إذ كان
يصح قضاء العصر بعد الغروب .

وقد ظفرت باستدلال أوضح منه وهو:

ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون في آخر الزمان ويحجرون
ويكونون من هذه الأمة تشريفا لهم بذلك وروى عن ابن عباس مرفوعا

(أصحاب الكهف أعوان المهدي) أخرجه ابن مردويه في تفسيره
فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم بعد الموت .

ولا بدع في أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم عمراً ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة
 الباقية وأما فيها فيعتد به ويكون تأخير تلك اللحظة الباقية بالمدة الفاصلة
 بينهما لإستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيه صلى الله
 عليه وآله وسلم كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما
 أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة .

ثم إن تعليل ابن دحية للحديث بمخالفة ظاهر القرآن ليس على
 طريقة أهل الحديث . فقد ذكر الحافظ أبو الفضل بن طاهر المقدسي في
 كتابه ، الإيضاح ، تعليل ابن حزم لحديث الإسراء الذي أخرجه البخاري
 وحكمه عليه بأنه موضوع لمخالفة ما ثبت في أحاديث الإسراء الصحيحة
 ثم تعقبه بأن قال إن ابن حزم وإن كان إماماً في علوم شتى إلا أنه لم
 يسلك طريق الحفاظ في تعليل الحديث . وذلك أن الحفاظ إنما يعلنون الحديث
 من طريق الإسناد الذي هو المرقاة إليه وهذا الرجل علله من حيث اللفظ
 انتهى

وأما حديث (لبيت شعري ما فعل أبواي) . فمعضل ضعيف لا تقوم
 به حجة .

وقال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس في سيرته بعد أن ذكر
 رواية ابن إسحاق في (أن أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه : وقد روى

أن عبد الله بن عبد المطلب وأمنة بنت وهب أبوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسلما أيضا وأن الله أحياهما له فأمنا به) . وروى ذلك أيضا فى حق جده عبد المطلب قال ، وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبى رزىن العقبلى قال قلت يارسول الله أين أمى قال أمك فى النار ، قلت فأين من مضى من أهلك قال أما ترضى أن تكون أمك مع أمى .

قال وذكر بعض أهل العلم فى الجمع بين هذه الروايات ما حاصله: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل راقيا فى المقامات السنوية صاعدا فى الدرجات العلية إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه وأزلفه بما خصه به من الكرامة حين القدوم عليه فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لم تكن وأن يكون الأحياء والإيمان متأخرا عن تلك الأحاديث فلا تعارض انتهى .

(قلت) هذا كله كلامى على الحديث من غير أن أقف على كلام أحد تكلم عليه ثم راجعت ، لسان الميزان ، تأليف إمام الحفاظ أبى الفضل ابن حجر فوجدته ساق كلام الميزان ، فى ترجمة عبد الوهاب بلفظه ثم قال ما نصه قلت تكلم الذهبى فى هذا الموضع بالظن فسكت عن المتهم بهذا الحديث وقد قال الدارقطنى فى غرائب مالك ، ما نصه ويروى عن مالك عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها حديثان منكران باطلان فذكر هذا الحديث من طريق على بن أيوب الكعبى عن أبى غزيرة ثم قال وهذا كذب على

مالك والحمل فيه على أبي غزيرة والمتهم به هو أو من حدّث عنه ، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس .

ثم قال الحافظ ابن حجر وأخرج ابن الجوزي في « الموضوعات » عن عمر بن الربيع الزاهد حدثنا علي بن أيوب الكعبي حدثني محمد بن يحيى أبو غزيرة الزهري عن عبد الوهاب بن موسى فذكر الحديث مطولاً .

ثم ساقه من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش المفسر قال ثنا أحمد بن يحيى حدثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب . ثم قال ابن الجوزي : النقاش ليس بثقة وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان .

قال الحافظ ابن حجر فأما قوله علي بن أيوب الكعبي فوافقه ابن عساكر عليه لما خرج هذا الحديث بطوله كما سيأتي في ترجمة عمر بن الربيع وسمى الدارقطني أباه أحمد . وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل هو معروف له ترجمة جيدة في « تاريخ مصر » لأبي سعيد بن يونس ورماه الدارقطني بالوضع وهو أبو غزيرة محمد بن يحيى الزهري وسيأتي ذكره في موضعه . وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من « مسند النقاش » ما يميز به وفي طبقته جماعة كل منهم أحمد بن يحيى أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصري وعلى الكعبي مصري كما قاله الدارقطني .

وقد ذكر الخطيب : عبد الوهاب بن موسى صاحب الترجمة في الرواة عن مالك وكناه أبا العباس ونسبه زهريا وأورد له من طريق سعيد ابن أبي مريم عنه عن مالك عن عبد الله بن دينار أثرا موقوفاً على عمر

مالك والحمل فيه على أبي غزية والمتهم به هو أو من حدّث عنه ، وعبد الوهاب بن موسى ليس به بأس .

ثم قال الحافظ ابن حجر وأخرج ابن الجوزي في « الموضوعات » عن عمر بن الربيع الزاهد حدثنا علي بن أيوب الكعبي حدثني محمد بن يحيى أبو غزية الزهري عن عبد الوهاب بن موسى فذكر الحديث مطولا .

ثم ساقه من طريق آخر فيه محمد بن الحسن النقاش المفسر قال ثنا أحمد بن يحيى حدثنا محمد بن يحيى عن عبد الوهاب . ثم قال ابن الجوزي : النقاش ليس بثقة وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى مجهولان .

قال الحافظ ابن حجر فأما قوله علي بن أيوب الكعبي فوافقه ابن عساكر عليه لما خرج هذا الحديث بطوله كما سيأتي في ترجمة عمر بن الربيع وسمى الدارقطني أباه أحمد . وأما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل هو معروف له ترجمة جيدة في « تاريخ مصر » لأبي سعيد بن يونس ورماه الدارقطني بالوضع وهو أبو غزية محمد بن يحيى الزهري وسيأتي ذكره في موضعه . وأما أحمد بن يحيى فلم يظهر من « مسند النقاش » ما يميز به وفي طبقته جماعة كل منهم أحمد بن يحيى أقربهم إلى هذا السند أحمد بن يحيى بن زكريا فإنه مصرى وعلى الكعبي مصرى كما قاله الدارقطني .

وقد ذكر الخطيب : عبد الوهاب بن موسى صاحب الترجمة في الرواة عن مالك وكناه أبا العباس ونسبه زهريا وأورد له من طريق سعيد ابن أبي مريم عنه عن مالك عن عبد الله بن دينار أثرا موقوفاً على عمر

رضي الله تعالى عنه في قصة له مع كعب الأحبار وقال إنه تفرد به ولم يذكر فيه جرحاً وأورده الدارقطني في « الغرائب » من هذا الوجه وقال هذا صحيح عن مالك ، وعبد الوهاب بن موسى ثقة ومن دونه كذلك .

ونقل ابن الجوزي عن شيخه محمد بن ناصر أن هذا الحديث موضوع ؛ لأن قبر أمنة بالأبواء كما ثبت في الصحيح وأبو غزيرة هذا زعم أنه بالحجون^(١) وسبق ابن الجوزي إلى الحكم بوضعه ومعارضته لحديث بريدة - الجوزقاني في كتاب الأباطيل وسيأتي في ترجمة عمر بن الربيع^(٢) مع زيادة في الكلام على حديث أبي غزيرة عن عبد الوهاب بن موسى .

هذا كله كلام « لسان الميزان » في ترجمة عبد الوهاب .

وقوله في أحمد بن يحيى إنه لم يظهر من « مسند النقاش » ما يتميز به .

يقال عليه قد ظهر من السند الذي ساقه ابن شاهين في (الناسخ والمنسوخ) عنه ما يتميز به من حيث نسبه الحضرمي .

وقال في « لسان الميزان » في ترجمة أبي غزيرة : هو أبو غزيرة الصغير زهري كان بمصر روى عنه جماعة منهم ، وقد ذكر أبو سعيد بن

(١) الإبواء راد بين مكة والمدينة وقد توفيت وهي راجعة من المدينة إلى مكة ودعت في الإبواء على المشهور وهو قول ابن إسحاق وحزم به العراقي قال في المواب اللدنية . ويعارضه ما في الأحاديث من أنها دفنت بالحجون وهو جبل بمحلة مكة وجمع بعضهم بأنها دفنت بالإبواء ثم نبش قبرها ونقلت إلى الحجون اهـ .

(٢) هو عمر الربيع أبو طالب الخشابي ذكره القرابي في تاريخه وقال إنه كذاب وضعفه الدارقطني اهـ من اللسان .

يونس في الغرياء نسبة ، فقال :محمد بن يحيى بن محمد بن عبد العزيز
ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف أبو عبد الله ولقبه أبو غزية مدنى قدم
مصر له كنيتان .

وذكر فيمن روى عنه إسحاق بن إبراهيم الكناسى وزكريا بن
يحيى الثغرى وسهل بن سودة العافى ومحمد بن فيروز ومحمد بن عبد الله
ابن حكيم ، قال ومات يوم عاشوراء سنة ثمان وخمسين ومائتين .

وقال الدارقطنى فى ، غرائب مالك ، حدثنا أبو بكر النقاش
المصرى حدثنا محمد بن عبد الله بن حكيم بمصر حدثنا أبو غزية محمد
ابن يحيى الزهرى حدثنا عبد الوهاب بن موسى حدثنى مالك عن ابن
شهاب حدثنى سعيد بن المسيب حدثنى عبد الله بن عمر قال لما ولى على -
فذكر قصة فيها فقال على : إن أبا بكر سبقنى إلى أربع - الحديث .

قال الدارقطنى لا يثبت عن الزهرى ولا عن مالك ، وأبو غزية
هذا هو الصغير منكر الحديث .

ثم أورد من طريق على بن أحمد قال وكان ثقة حدثنا أبو غزية
محمد بن يحيى حدثنى أبو العباس عبد الوهاب بن موسى بهذا السند إلى
ابن عمر رفعه ، اليمين مندمة أو مائة ، .

وقال لا يصح هذا عن مالك ولا عن الزهرى والحمل فيه على أبى
غزية انتهى .

وأما أبو غزية الكبير فهو محمد بن موسى الأنصارى المدنى

القاضي ، يروى عن مالك و فليح بن سليمان ، وعنه إبراهيم بن المنذر
والزبير بن بكار وعمر بن محمد بن فليح وطائفة ، ضعفه البخارى وابن
حبان ^(١) وأبو حاتم والعقيلي وابن عدى ، ووثقه الحاكم ، مات سنة سبع
ومائتين .

وقال فى ترجمة على بن أحمد الكعبي ^(٢) : مصرى متهم روى
عن أبى غزيرة عن عبد الوهاب بن موسى عن مالك عن أبى الزناد عن
هشام بن عروة عن أبىه عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها حديثين .

أحدهما (أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما حج مرَّ
بقبر أمه آمنة فسأل الله عز وجل فأحياها فأمنت فردها إلى
حفرتها) .

والثانى بهذا الإسناد (أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
كان ينقل الحجارة للبيت عربانا فجاءه جبريل وميكائيل
فوزراه وطفقا يحملان الحجارة عنه شفقة من الله عليه) .

قال الدارقطنى : والإسناد والمقتان باطلان ولا يصح لأبى الزناد
عن هشام عن أبىه عن عائشة شىء وهذا كذب على مالك والحمل فيه على
أبى غزيرة والمتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه ، وعبد الوهاب بن
موسى ليس به بأس .

(١) وفى لسان الميزان قال البخارى عنده مناكير وقال ابن حبان كان يسرق الحديث ويروى عن
النفقات المرصوعات واتهمه الدارقطنى بالوضع ا.هـ .
(٢) سبق أنه على بن أيوب الكعبي وميائى .

وقال في ترجمة علي بن أيوب الكعبي بعد أن ساق قول
« الميزان » : لا يكاد يعرف (قلت) قد عرفه الدارقطني وسماه علي بن
أحمد .

وقال في ترجمة عمر بن الربيع بن سليمان أبي طالب الخشاب
بعد أن ساق قول الذهبي : ذكره الفرات^(١) في تاريخه وأنه كذاب مانصه :
وضعفه الدارقطني في غرائب مالك وقال مسلمة بن قاسم^(٢) تكلم فيه قوم
ووثقه آخرون وكان كثير الحديث توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة
بمصر .

وأورد له ابن عساكر في « غرائب مالك » من طريق الحسين بن
علي بن محمد بن إسحاق الحلبي حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الخشاب
حدثنا علي بن أيوب الكعبي من ولد كعب بن مالك حدثني محمد بن
يحيى الزهري أبو غزية حدثني عبد الوهاب بن موسى حدثني مالك عن
أبي الزناد عن هشام بن عروة عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها
قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ...
فذكر الحديث كما تقدم من طريق الخطيب سواء .

قال ابن عساكر هذا حديث منكر من حديث عبد الوهاب بن
موسى الزهري المدني عن مالك والكعبي مجهول والحلي صاحب غرائب
ولا يعرف لأبي الزناد رواية عن هشام ، وهشام لم يدرك السيدة عائشة
رضي الله تعالى عنها فقلعه سقط من الكتابة لفظ « عن أبيه » انتهى .

(١) ما وجدت الفرات ولكن في كشف الظنون ذكر تاريخ ابن الفرات ا هـ .

(٢) لعل اسم كتابه (الصلة) والله أعلم القاضى محمد شريف الدين البالى عفى عنه .

قال الحافظ ابن حجر ولم ينبه على عمر بن الربيع ولا على محمد بن يحيى وهما أولى أن يلصق بهما هذا الحديث من الكعبي وغيره وقد تقدم ذلك في ترجمة عبد الوهاب بن موسى وفيه إثبات قوله عن أبيه الذي ظن أنه سقط فهو كما ظن . انتهى .

هذا مجموع كلام الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ، فيما يتعلق بهذا الحديث ورجاله .

* * *

تلخيص وبيان لكون الحديث ضعيفاً لا موضوعاً :

وقد تلخص لى منه ومما قدمته أن الحديث غير موضوع قطعاً .

وبيان ذلك أنه ليس فى رواته من أجمع على جرحه فإن مدار الحديث على أبى غزيرة عن عبد الوهاب وعبد الوهاب وثقه الدارقطنى فى موضعين فقال فى موضع ثقة وفى موضع ليس به بأس وأقره الحافظ ابن حجر ولم ينقل عن أحد فيه جرح ، ومن فوقه من مالك فصاعدا لا يسأل عنهم لجلالتهم والساقط بين هشام وعائشة عروة وقد ثبت فى طريق آخر ، وأبو غزيرة قال فيه الدارقطنى منكر الحديث وقال ابن الجوزى مجهول وترجمه ابن يونس ترجمة جيدة أخرجه عن حد الجهالة ، والكعبى أكثر ما قيل فيه مجهول وقد عرف ، وعمر بن الربيع نقل مسلمة توثيقه عن آخرين وأنه كان كثير الحديث .

فهذا الطريق بهذا الاعتبار ضعيف لا موضوع على مقتضى الصنعة فكيف وله منابح أجود منه وهو طريق أحمد بن يحيى الحضرمى عن أبى غزيرة فإن هذا الطريق أجود من حيث إن طريق الكعبى فيها رجال على الولاء تكلم فيهم الحلبي وعمر بن الربيع والكعبى ، والحضرمى لم يتكلم فيه إلا بالجهالة حيث اقتصر فيه على أحمد بن يحيى وقد عرف لما نسب باللين وهى من ألفاظ التعديل الذى يحكم لحديث صاحبه بالحسن إذا توبع ولو لا تفرد به لحكمت له بالحسن . فالحديث إذاً من أفراد أبى غزيرة ومداره عليه وحكم ابن عساكر على هذا الحديث بأنه منكر حجة لما قلته من أنه ضعيف لا موضوع لأن المنكر من الضعيف وبينه وبين

الموضوع فرق كما هو معروف في فن الحديث .

وأقوى ما اعتمد عليه في هذا الحديث قول ابن عساکر فإن أكثر ما قيل في رواية أبي غزيرة أنه منكر الحديث فيكون الحديث الذي تفرد به منكرا .

وضابط المنكر أنه الذي يتفرد به الراوي الضعيف مخالفاً لرواية الثقات وهذا الحديث كذلك إن سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه فإن انتفت المخالفة كان ضعيفاً فقط وهي مرتبة فوق المنكر أصلح حالاً منه ، ودون المنكر مرتبة أدون حالاً منه وهي مرتبة المتدرك والمتدرك أيضاً من قسم الضعيف الذي ليس بموضوع .

الكلام على حديث الزيارة وأنه معلول:

حديث الزيارة الذي حكم الذهبي بصحته^(١) لم يخرج أحد من الأئمة الستة بل أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود ، وأحمد من حديث بريدة والطبراني من حديث ابن عباس ، وأشار الحافظ ابن حجر في شرح البخاري إلى أن من حكم بصحته فليس لكونه صحيحاً لذاته بل لوروده من هذا الطريق وقد تأملت طرق الحديث فوجدتها كلها معلولة والله الحمد .

فأما حديث ابن مسعود فأخرجه الحاكم من طريق أيوب بن هاني عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله

(١) راجع ص ٤

صلى الله عليه وآله وسلم ينظر في المقابر وخرجنا معه فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فاجاه طويلاً ثم ارتفع نحيبه باكياً فبكينا لبكائه ثم أقبل إلينا فتلقاه عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله ما الذى أبكاك فقد أبكنا وأفزعنا فجاء فجلس إلينا فقال أفزعكم بكائي؟ قلنا نعم قال إن القبر الذى رأيتمنى أناجى فيه قبر آمنة بنت وهب وإنى أستأذنت ربي فى زيارتها فأذن لى فأستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فيه ونزل على ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآيتين فأخذنى ما يأخذ الولد للوالد من الرقة فذلك الذى أبكائى . قال الحاكم هذا حديث صحيح ، وتعقبه الذهبى فى « مختصر المستدرک » فقال أيوب بن هانى ضعفه ابن معين انتهى .

فهذه علة نقدح فى صحته والعجب من الذهبى كيف يصحح هذا الحديث فى « الميزان » اعتماداً على تصحيح الحاكم ثم يخالفه فى « مختصر المستدرک » .

وفى الحديث علة ثانية وهى مخالفته لما فى « صحيح البخارى » وغيره أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبى طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له ووردت أحاديث أخر فى « الترمذى » وغيره فيها نزول الآية على سبب غير قصة آمنة فإن كان الذهبى رد حديث الإحياء لمخالفته هذا الحديث فهذا الحديث يرد لمخالفته المقطوع بصحته فى « صحيح البخارى » وغيره .

وأما حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فأخرجه الطبرانى

ولفظه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر هبط من ثنية عسفان فنزل على قبر أمه وذكر نحو حديث ابن مسعود في نزول الآية وله علتان . مخالفة الحديث الصحيح كما سبق . وإسناده ضعيف .

وأما حديث بريدة فأخرجه ابن سعد وابن شاهين بلفظ لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة أتى قبراً فجلس إليه وذكر نحوه . وفي لفظ آخر رواه ابن سعد وابن شاهين من طريق آخر لما قدم مكة أتى رسم قبر . وعن جرير من طريق آخر لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت .

وفي هذا الحديث من علة المخالفة ما تقدم . وله علة أخرى قال ابن سعد في الطبقات ، بعد تخريجه هذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء انتهى .

فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة .

وأما قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار فإنه يمكن الجمع بينها وبين الأحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في قصة أبي طالب وغيره .

وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زار قبر أمه في ألف مقتنع فما روى باكياً أكثر من ذلك اليوم . وهذا القدر لا علة له وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث ولا نهى عن الاستغفار وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل عند زيارة الموتي من

غير سبب تعذيب ونحوه وهذا ما فتح الله لى بتحريره فى هذا المحل والله
الحمد .

حاصل ما تقرر فى حديث الإحياء

وحاصل ما تقرر فى حديث الإحياء : أن الذين حكموا بوضعه من
الأئمة : الدارقطنى والجوزقانى وابن ناصر وابن الجوزى وابن دحية ،
والذين حكموا بضعفه فقط وأنه غيره موضوع هم : ابن شاهين والخطيب
وابن عساكر والسهيلى والقرطبى والمحب الطبرى وابن سيد الناس ، ووجه
أخذه من كلام ابن شاهين أنه أورده على أنه ناسخ لحديث الزيارة فلو كان
عنده موضوعا لم يصح أن يحتج به على النسخ وقد نظرنا بحسب الأصول
فوجدنا العلل التى علل بها الفرقة الأولى كلها غير مؤثرة فلذلك رجحنا قول
الفرقة الثانية والله تعالى الحمد .

وقد وافق على ما قلته من أن الحديث ضعيف لا موضوع الحافظ
شمس الدين بن ناصر الدين محدث دمشق من المتأخرين فإنه أورد
الحديث من طريق الخطيب^(١) فى كتابه المسمى ، مورد الصادى فى مولد
الهادى ، وأنشد عقبه .

حبا لله النبى مزيد فضل	على فضل وكان به رء وفا
فاجيا أمه وكذا أباه	لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير	وإن كان الحديث به ضعيفا

(١) هو شمس الدين محمد بن ناصر الدين أبى بكر بن عبد بن محمد الدمشقى محدث دمشق
ومصاحب التأليف الحسنة توفى فى ربيع الآخر سنة لثنتين وأربعين وثمانمائة رحمه الله تعالى .

(٢) الكلام في أن أمته صلى الله عليه وآله وسلم كانت موحدة

هذا كله فيما يتعلق بإحيائها وقد ظفرت بأثر يدل على أنها ماتت وهي مؤحدة أخرج أبو نعيم في « دلائل النبوة » من طريق الزهري عن أم سماعة - بنت أبي رهم عن أمها قالت شهدت أمه أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بارك الله فيك من غلام	يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعم	قودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام	إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام	من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام	تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهيم	فإنه أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليا مع الأقوام

ثم قالت رضي الله تعالى عنها (كل حي ميت ، وكل جديد بال وكل كثير يفنى . وأنا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا . وولدت طهراً .) ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة البرة الأمينة	ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة	أم نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر في المدينة	صارت لدى حفرتها رهينة ^(١)

(١) ذكر هذا الأثر بدمه في رساله مسالك العلقا .

هذا القول من أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريح في أنها

موحدة .

— إذ ذكرت دين إبراهيم .

— ويعت ابنها صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام . من عند ذى

الجلال والإكرام .

— ونهيه عن عبادة الأصنام . ومولاتها مع الأقوام وهل التوحيد

شئ غير هذا التوحيد والاعتراف بالله وألهيته وأنه لا شريك له والبراءة

من عبادة الأصنام ونحوها؟ .

وهذا القدر كاف في التبرئ من الكفر وثبوت صفة التوحيد في

الجاهلية قبل البعث وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة .

وقد قال العلماء في حديث الذى أمر بدينه عند موته أن يحرقوه

ويسحقوه ويذروه في الريح وقوله لئن قدر الله على ليعذبني : إن هذه الكلمة

لا تنافي الحكم بإيمانه لأنه لم يشك في القدرة لكن جهل فظن أنه إذا فعل

ذلك لا يعاد .

— ولا يظن بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافرا

فقد كان جماعة تحنقوا وتركوا ما كان عليه أهل الشرك

وتمسكوا بدين إبراهيم عليه السلام وهو التوحيد كزيد بن عمرو

بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل فكلهم محكوم

بإيمانهم في الحديث ومشهود لهم بالجنة .

فلا بدع أن تكون أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم كيف وأكثر من تحنّف إنما كان سبب تحنّفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من أنه قُرب بعث نبي من الحرم صفة كذا ، وأم النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها . وشاهدت في حمله وولادته من الآيات الباهرة . ما يحمل على التحنّف ضرورة ورأت النور الذي خرج منها وأضاءت له قصور الشام حتى رأتها كما ترى^(١) وقالت لحليمة حين جاءت به وشق صدره وهي مذعورة أخشيت عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابنى هذا شأن في كلمات آخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت إلى مكة فماتت في الطريق .

فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت في حياتها رضى الله تبارك وتعالى عنها وجعل الجنة مقبلها ومثواها ..

الجمع بين حديث أمي مع أمكما وكونها موحدة

(فإن قلت) كيف تدرك أنها كانت موحدة في حياتها ومتحنفة ، وهذا الحديث في أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له ، وقوله صلى

(١) بياض في الأصل ولعله كما في المراهب ، وأضاءت تلك التصور من ذلك النور .

الله عليه وآله وسلم في الحديث الآخر ، أمى مع أمكما ، يؤذنان بخلاف ذلك وهبك أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الإحياء بأنهما متقدمان في التاريخ وذلك متأخر فكان ناسخا فماذا تقول في هذا فإن الموت على التوحيد ينفى التعذيب البتة .

(قلت) أحسن ما يقرر به الجواب أن يقال إن قوله أمى مع أمكما (صدر قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في تبع لا أدري تبعا ألعينا كان أم لا) أخرجه الحاكم وابن شاهين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أوحى إليه في شأنه (لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم) أخرجه الحاكم وابن شاهين في (الناسخ والمنسوخ) أيضا من حديث سهل بن سعد وابن عباس رضي الله تعالى عنهم - فكانه صلى الله عليه وآله وسلم أولا لم يوح إليه في شأنها أو لم يبلغه القول الذي قالته عند موتها أو لم يذكره فإنه كان ابن خمس سنين فاطلق القول بأنها مع أمهما جريا على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى إليه أمرها بعد ذلك .

ويؤيد ذلك أن في آخر الحديث (ما سألتها ربي) فهذا يدل على أنه لم يكن بعد بينه وبين ربه مراجعة في أمرها ثم وقع بعد ذلك .

الجمع بين عدم الإذن بالاستغفار لأمه وكونها موحدة :

وأما حديث عدم الإذن في الاستغفار فلا يلزم منه الكفر بدليل أنه

صلى الله عليه وآله وسلم كان ممنوعاً في أول الإسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء ، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين وعل ذلك بأن استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل عقب دعائه إلى منزله الكريم في الجنة والمديون محبوس عن مقامه حتى يقضى دينه كما في الحديث (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى) فتكون أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونها متحفة كانت محبوسة في البرزخ عن الجنة لأمر آخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار لها إلى أن أذن الله فيه بعد ذلك .

ويحتمل أن يجاب عن الحديثين بأنها كانت موحدته غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير فأحياها الله تعالى له حتى آمنت بالبعث وجميع ما في شريعته ولذلك تأخر إحيائها إلى حج الوداع حتى تمت الشريعة ونزل ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ .

* * *

في بيان إيمان أمهات الأنبياء عليهم السلام :

قد تأملت بالاستقراء فوجدت جميع أمهات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مؤمنات فلا بد أن تكون أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك ، وبيان ذلك يكون بالتفصيل وبالإجمال .

أما التفصيل :

— فأُم عيسى عليه السلام مريم صديقة بنص القرآن ، وذهب طائفة إلى أنها نبيهة لذكرها في سورة الأنبياء مقترنة بهم .

— وأم إسحاق سارة مذكورة في القرآن وقيل أيضاً بنبيوتها لخطاب الملائكة معها .

— وأم موسى وهارون عليهما السلام مذكورة أيضاً في القرآن وقيل أيضاً بنبيوتها لقوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى ﴾ .

— وأم شيث حواء أم البشر مذكورة في القرآن وقيل بنبيوتها

— ووردت الأحاديث والآثار بإيمان هاجر أم إسماعيل ، وأم يعقوب - وأمهاات أولاده - وأم داود - وسليمان - وزكريا - ويحيى - وشمويل - وشمعون وذى الكفل - صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين .

ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح عليه السلام لقوله ﴿ رب اغفرلى ولوالدى ﴾ ذكر الكرمانى فى هذه الآية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لم يكفر لنوح والد بينه وبين آدم عليهما السلام ثم حكى قولاً غريباً أنهما كانا كافرين .

(قلت) الصواب الأول والأثر المذكور أخرجه ابن سعد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال (ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام) ونص جماعة على إيمان أم إبراهيم عليه السلام ورجحه ابن حبان فى البحر ، فى تفسير سورة إبراهيم واسمها نوماء من ولد

أرفخشد ابن سام بن نوح عليه السلام حكاهما ابن سعد في الطبقات .

وأما الإجمال :

فأخرج الحاكم في المستدرک ، وصححه عن ابن عباس رضی الله عنهما قال كانت الأنبياء من بنی اسرائیل الا عشرة نوح - وهود - وصالح - ولوط - وشعيب - وإبراهيم - وإسماعيل - وإسحاق - ويعقوب - ومحمد عليهم السلام ، وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين لم يكن فيهم كافر إلى أن بعث الله عيسى عليه السلام فكفر به من كفر فأمهات الأنبياء الذين من بنی اسرائیل كلهن مؤمنات ولم يبعث بعد عيسى أحد في الأمم .

أما العشرة فقد ثبت إيمان أم اسماعيل - وإسحاق - ويعقوب - وذكر إيمان أم نوح - وإبراهيم - وبقى أم هود - وصالح - ولوط - وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل والظاهر إن شاء الله تعالى إيمانهم .

فقد ثبت بهذا الاستدلال إيمان الجميع وكان السر في ذلك ما يرى من النور كما ورد في الحديث وكذلك أمهات المؤمنين يرين .

في أن أمه صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الفترة فهي ناجية ،

قد عرف مما ذكرناه دليلان على أن أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليست في النار ، كونها متحنفة ، وإحيائها حتى آمنت فيضم إلى ذلك دليل ثالث وهو كونها من أهل الفترة والأحاديث في أهل الفترة معروفة مشهورة قال الله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ .

وقد أورد صاحب « مرآة الزمان »^(١) كلام جده ابن الجوزي على الحديث السابق ثم قال عقبه وقال قوم : قد قال الله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما .

دليل رابع على نجاتها

(ودليل رابع) وهو ما ثبت في الصحيحين أن أبا لهب روى في النوم فقال لم ألق بعدكم خيراً غير أنني سقيت في هذه لعناتى ثوبية . وثوبية . مولاة لأبي لهب كان أبو لهب أعتقها وكانت أرضعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا سقى أبو لهب وأعتق منه هذا القدر من النار مع شدة عداوته للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم وشدة ما لقي منه لكونه أعتق من أرضعته فما ظنك بمن حملته في بطنها تسعة أشهر وأرضعته أياما وريته سنين وهي أمه .

دليل خامس على نجاتها

(ودليل خامس) - كما في لسان الميزان في ترجمة يحيى بن الحسين العلوي ذكره الجوزقاني في كتاب الأباطيل - فقال أخبرنا محمد بن الحسن بن محمد الواعظ قال أخبرنا أبو الحسين يحيى بن الحسين بن اسماعيل الحسيني أخبرنا محمد بن علي بن الحسين بن علي الحسيني . حدثنا زيد بن حاجب . حدثنا محمد بن عمار العطار . حدثني علي بن محمد العطفاني . حدثنا محمد بن هارون العلوي حدثني محمد بن علي بن حمزة العباسي حدثني أبي حدثني علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن (١) في كشف الظنون مرآة الزمان في تاريخ الأعيان في أربعين مجلدا للشيخ أبي المطهر يوسف بن قزاعلي المعروف بمبطل ابن الجوزي المتوفى سنة أربع وخمسين وستمائة رحمه الله تعالى .

على بن الحسين بن علي . حدثني أبي موسى عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد عن أبيه علي بن الحسن عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رفعه قال هبط عليّ جبريل عليه السلام فقال (إن الله يقرئك السلام ويقول حرمت النار على صلب أنزلك . وبطن حملك . وحجر كفلك) أما الصلب فعبد الله . وأما البطن فأمنة وأما الحجر فعنه يعني أبا طالب وفاطمة بنت أسد . قال الجوزقاني هو حديث موضوع وفي إسناده غير واحد من المجهولين ويحيى بن الحسين رافضي غال ١٥٠ هـ .

قلت : فاطمة بنت أسد آمنت وصحبت وهاجرت رضي الله تعالى

عنها .

الرد على من يقطع بأن الأيوين ليسا من أهل الجنة

والمعجب ممن يقطع بكون أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار اعتماداً على قوله ، أمي مع أمكما ، وقوله ، إن أبي وأباك في النار ، ونحوهما من الأحاديث ويلغى ما عارضهما بالكلية .

القول بأن أطفال المشركين في الجنة :

وللمسألة نظير صحيح للناس فيه خلاف وهو مسألة أطفال المشركين فقد ورد في أحاديث كثيرة الجزم بأنهم في النار ، وفي أحاديث قليلة أنهم في الجنة وصحح الجمهور هذا ، منهم النووي وقال إنه المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين

حتى نبعث رسولا ﴿ وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره
أولى هذا كلام النووي ، وذكر غيره أن أحاديث كونهم في النار منسوخة
بأحاديث كونهم في الجنة .

ويوضح النسخ ما أخرجه ابن عبد البر عن السيدة عائشة رضي
الله تعالى عنها قالت سألت السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن أولاد المشركين فقال : هم من آبائهم ، ثم
سألته بعد ذلك فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم سألته بعدما استحكمت
الاسلام فنزلت ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فقال إنهم على الفطرة
أو قال في الجنة . فهذا يدل على النسخ .

(وكذا القول) في الأحاديث التي وردت في أن أبوي
النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار كلها منسوخة إما
باحيانتها وإيمانها وإما بالوحي في أن أهل الفترة لا يعذبون .

القول بأن أطفال المشركين في المشيئة

ومن جملة الأقوال في الأطفال أنهم في مشيئة الله تعالى لا يحكم
عليهم بشيء .

وهذا هو المنقول عن الشافعي الأئمة لحديث الصحيحين عن
أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل
عن أطفال المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ومعناه أن من علم
الله منه الإيمان لو عاش أدخله الجنة ومن علم منه الكفر لو عاش أدخله
النار .

(وكذا يقال) فى أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم . والظن
بهما أنهما لو عاشا إلى بعثته لبادرا إلى الإيمان به مسرعين فيكونان من
أهل الجنة .

القول بالامتحان فى الآخرة لأطفال المشركين وأهل الفترة ونحوهم :

(ومن) جملة الأقوال فى الأطفال أنهم يمتحنون فى الآخرة فمن
أطاع أدخله الله الجنة ومن عصى أدخله النار وصححه البيهقى وهذا بعينه
وردت به الأحاديث الصحيحة فى أهل الفترة .

أخرج البزار وأبو يعلى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يؤتى بأربعة يوم القيامة
بالمولود - والمعتوه - ومن مات فى الفترة - والشيخ الفانى -
كلهم يتكلم بحجته فيقول الله تعالى لعنق^(١) من النار أبرز لهم
ويقول لهم إني كنت أبعث إلى عبادى رسلا من أنفسهم وإنى
رسول نفسى إليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء
يا رب أتدخلناها ومنها كنا نفرُّ ، ومن كتب له السعادة يمضى
فيقتحم فيها مسرعا فيقول الله قد عصيتمونى فانتقم لرسلى أشد
تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار) .

وأخرج أحمد وابن راهويه فى مسنديهما والبيهقى فى كتاب
الاعتقاد^(٢) ، وصححه عن الأسود بن سريع عن أبى هريرة رضى الله

(١) أى قطعة .

(٢) كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى المتوفى سنة
ثمان وخمسين وأربعمائة .

تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ، أربعة يحتجون يوم
القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق - ورجل هرم
ورجل مات فى فترة - إلى أن قال وأما الذى مات فى الفترة
فيقول رب ما أتانى لك رسول فيأخذ موثيقهم ليطيعنّه فيرسل
إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً
ومن لم يدخلها يسحب إليها . .

وأخرج البزار عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ، تؤتى بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود
فيقول الهالك فى الفترة لم يأتى كتاب ولا رسول ويقول
المعتوه أى رب لم تجعل لى عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً -
ويقول المولود رب لم أدرك العمل - فترفع لهم نار فيقال لهم
ردوها فيردها من كان فى علم الله سعيداً لو أدرك العمل
ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيماً لو أدرك العمل . .

وأخرج البزار عن ثوبان رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال ، إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية
يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم
ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا
أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرايتم إن أمرتكم بأمر
أتطيعوننى ، وذكر نحو ما تقدم .

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم من حديث معاذ بن جبل رضى الله

عنه مثله .

وفي الباب أحاديث أخر وهذه الأحاديث هي العمدة في المسألة^(١) وكل ما شابهها ، وعليها بنى الفقهاء أصولهم ومذاهبهم في أنه لا يحكم على أحد معين من أهل الفترة أنه في النار بل هو في مشيئة الله موقوف على الامتحان وقد صرح في حديث ثوبان بجريان هذا الحكم في أهل الجاهلية عبدة الأوثان فمن لم يثبت عنه عبادة لها فهو من باب أولى ، وأبو النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت عنهما ما ثبت من أهل الجاهلية من عبادة الاوثان بل ولا ثبت ذلك من أحد من أصوله بل ثبت أو كاد يثبت انتفاؤه عن جميع أجداده كما سيأتى الإشارة إليه .

ويؤخذ من هذه الأحاديث الرد على ابن دحية في كلامه السالف عنه وقوله إن الإيمان بعد الموت لا ينفع ، فإذا كان الإيمان ينفع أهل الفترة في الآخرة التي ليست بدار تكليف وقد شاهدوا جهنم بشهادة هذه الأحاديث فلأن ينفعهما^(٢) بالإحياء في الدنيا من باب أولى ، وعلى تقدير عدم ثبوت إحيائهما في الدنيا فالظن بهما عند الامتحان في الآخرة أن يطيعا ويهديهما الله لتقر بذلك عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

في نكتة لطيفة في آية ﴿ ولا تزر وازرة وزر اخرى ﴾

ظهر لي نكتة لطيفة جدا في قوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ حيث قرن بين هاتين

(١) أي في مسألة أهل الفترة وامتحانهم في الآخرة .

(٢) أي أبوي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

الجملةين فإن الأولى متعلقة بأطفال المشركين اعتمد عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين نزلت وأخبرهم بأنهم في الجنة بعد إخباره بأنهم في النار كما تقدم في حديث السيدة عائشة رضيت الله تعالى عنها ، والثانية متعلقة بأهل الفترة ، وهم والأطفال مشتركون في عدم التعذيب لأمرين .

أحدهما : عدم بلوغ الدعوة لعدم العقل المدرك لها في الاطفال وانتفانها بالكلية وعدم ورودها في أهل الفترة .

والثاني عدم التكليف لعدم شرطه وهو البلوغ في الاطفال وورود الشرع في أهل الفترة إذ لا حكم قبل البعثة .

فهذا قرنت الجملةتان وذلك من بدائع أسرار القرآن * ولهذا اعتمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الجملة الثانية في الحكم على أهل الفترة بأنهم يمتحنون في الآخرة ولا يبادرون بالعذاب بعد إخباره بما يقتضى أنهم في النار ابتداء فكان الإخبار أولا في الفريقين على حد سواء والنازل فيهما جملةتان مقترنتان والإخبار ثانيا متحد عنهما أيضا وهو أنهم لا يعذبون .

وقد صححه النووي والمحققون في الأطفال وذهب آخرون إلى أنهم يمتحنون وجزم به أهل السنة قاطبة في أهل الفترة .

فوجب انتفاء التعذيب عن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما جزموا به بالامتحان في أهل الفترة ، وجرى في الاطفال خلاف وصح كونهم في الجنة لاجل مزية البلوغ والعقل في أولئك .

ويدل لكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما حكم على أهل
 الفترة بالامتحان ورفع العذاب اعتماداً على هذه الآية ما أخرجه عبد
 الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم بسند صحيح
 عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال ، إذا كان يوم القيامة جمع
 الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم
 يدركوا الإسلام ثم يرسل اليهم رسولا فيطيعه من كان يريد أن
 يطيعه ثم قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه اقرءوا إن شئتم
 ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ إسناده على شرط الشيخين
 ومثله لا يقال من قبل الراى فله حكم الرفع .

فى مذهب أهل السنة فىمن هو قبل الدعوة

قال أهل الأصول قاطبة ، شكر المنعم ليس بواجب عقلاً خلافاً
 للمعتزلة ، قال إلكيا الهراسى وغيره المراد بشكر المنعم امتثال الأوامر
 واجتناب النواهى من الكفر وغيره .

وقال ابن السبكى فى شرح مختصر ابن الحاجب ، وذهب بعض
 أصحابنا إلى موافقة المعتزلة كابن شريح والصيرفى والقفال الكبير وابن أبى
 هريرة والقاضى أبى جامد وقد اعتذر القاضى أبو بكر الباقلانى فى ،
 التقريب ، - والاستاذ أبو إسحاق فى أصوله - والشيخ أبو حامد الجوينى فى ،
 شرح الرسالة ، عمن وافق المعتزلة من أصحابنا بأنهم لم تكن لهم قدم
 راسخة فى الكلام وربما طالعوا كتب المعتزلة فاستحسنوا هذه العبارة وهى
 شكر المنعم واجب عقلاً فذهبوا إليها غافلين من تشعبها عن أصل المعتزلة

مع علمنا بأنهم ما افتحموا مسالكهم وما تبعوا مقاصدهم ، قال ابن السبكي وهو كلام حق بالنسبة إلى من عدا القفال الكبير أما القفال فكان إماما في الكلام مقدما إلا أنه كان أول أمره معتزليا فقال هذه المقالة ثم لما رجع عن الاعتزال لا بد أن يكون رجع عن ذلك .

قال ابن السبكي وعلى مسألة شكر المنعم تتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجيا ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام وهو مضمون بالكفارة والدية ولا يجب القصاص على قاتله على الصحيح إذ هو ليس بمسلم انتهى كلامه .

وهو صريح في نجاته وأنه لا يدخل النار وأنه يدخل الجنة مع كونه لا يسمى مسلما^(١) .

في كلام الأصوليين في قاعدة وجوب شكر المنعم

أورد الزركشي في (شرح جمع الجوامع) لقاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلا ثلاثة أدلة من القرآن - قوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وقوله تعالى ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ أى لم يأتهم الرسل والشرايع . وقوله تعالى ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ .

(قلت) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية الأخيرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهالك
(١) هنا بياض في الأصل .

في الفترة يقول رب لم يأتيك كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الآية ﴿ ربنا لولا
أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ إسناده حسن .

(ومن الآيات) الواردة في هذا قوله تعالى ﴿ وما كان ربك
مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي
الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من
قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل
ونخزي ﴾ .

أخرج ابن أبي حاتم عند هذه الآية عن عطية العوفي قال الهالك
في الفترة يقول رب لم يأتيك كتاب ولا رسول وقرأ ﴿ ولو أنا أهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ﴾ إلى آخر هذه الآية وقوله تعالى ﴿ وهم
يَصْطَرِخُونَ ^(١) فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ
نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في هذه الآية قال احتج عليهم
بالعمر والرسول وقوله تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين للناس
على الله حجة بعد الرسل ﴾ .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في هذه الآية ﴿ للناس
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ قال فيقولون ما أرسلت إلينا رسولا .

* * *

(١) يصيحون مستغيثين .

العرب غير مكلفين بشريعة موسى وعيسى

وأهل الفترة منهم من لم تبلغهم دعوة رسول لهم قبل البعثة :

(فإن قلت) كيف يكون حكم أهل الفترة حكم من لم تبلغه الدعوة وحكم ما قبل البعثة وقد كانت شريعة موسى وعيسى عليهما السلام إذ ذلك موجودة .

(قلت) دلت الأدلة على أن العرب لم يكونوا مخاطبين بها ولا مكلفين باتيانها ولهذا وردت الأحاديث في الهالك في الفترة صريحة ولو كان المراد بما قبل البعثة أن لا يكون بعث رسول في الدنيا أصلا لاستحال وجود ذلك إذ ما من فترة إلا وقبلها نبي إلى آدم عليه السلام وهو أول الأنبياء وليس قبل آدم بشر والقرآن أيضا ناطق بذلك قال الله تعالى ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ .

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ قال اليهود والنصارى خاف أن تقوله قريش .

وبهذا القول يندفع ما وقع في شرح مسلم في حديث « إن أبي وأباك في النار » من قوله إن أهل الجاهلية لا يجزى عليهم حكم من لم تبلغه الدعوة لتقدم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء كيف وفي الحديث السابق من رواية ثوبان إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم وذكر بقية الحديث في الامتحان . فهذا نص في

المسألة وبقيّة الحديث شاهدة على الهالك في الفترة ما بين النبيين واشتهرت لما بين عيسى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعري من هم ؟ وقد قال الرافعي في الروضة (١) من لم تبلغه دعوة نبينا عليه السلام لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام فلو قتل كان مضمونا قطعاً وكيف يضمن من قتل من بلغته الدعوة فلم يؤمن .

(أما الكفارة) فتجب بلا تفصيل .

ثم له ثلاثة أحوال ، أحدها ، أن لا تكون بلغته دعوة نبي أصلاً فلا قصاص على الصحيح وأوجبه الفقهاء وهل تجب دية مجوسى أو مسلم؟ وجهان أصحهما الأول ، والثانى ، أن يكون مستمسكاً بدين لم يبدل ولم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص على الأصح : وقيل تجب دية مسلم أو تجب دية أهل ذلك الدين وجهان أصحهما الثانى . والثالث ، أن يكون مستمسكاً بدين لحقه التبديل لكن لم يبلغه ما يخالفه فلا قصاص قطعاً وتجب دية مجوسى فى الأصح انتهى .

وهل يمكن أن يوجد فى أطراف الأرض من لم يبلغه أن الله بعث نبيا أصلاً من لدن آدم وبعثة أنبياء الله تعالى ووقائعهم مشهورة ولو لم تكن إلا بعثة نوح وإقامته ألف سنة إلا خمسين عاماً والطوفان الذى غرق أهل الأرض جميعاً [لكفى] فلو اعتبرنا مطلق وجود بعثة الأنبياء عليهم السلام لاستحالة وجود من لم تبلغه الدعوة ولسقطت الأحاديث والآثار

(١) الروضة فى فروع الشافعية الإمام عبد الكريم الرافعى القزوينى المتوفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة رحمه الله تعالى .

الواردة في أهل الفترة بأسرها على كثرتها وصحتها ولحكم عليهم جميعاً بأنهم في النار من غير امتحان ، وفي هذا إلغاء وردُّ للأحاديث الثابتة الصحيحة .

زيادة إيضاح لما تقدم :

(فإن قلت) لم يتضح لي هذا كل الاتضاح فزدني بيانا بوجهه
(قلت) وجهه مجموع أمور طول المدة من لدن بعثة إبراهيم وإسماعيل
عليهما السلام فإنه لم يبعث في العرب نبي بعد إسماعيل ، وحدث التغيير
في دينهما ، وتعادى الزمان عليه ، وفقد من ينقل شريعتهما على وجهها ،
وتدارك القرون قرناً بعد قرن مستمسكين بذلك المغير حتى نشأ قوم فلم
يجدوا إلا ذلك ولم يسمعوا بحقيقة دين إبراهيم على وجهه ولا وجدوا من
يخبرهم به فهم يصدق عليهم أنهم لم تبلغهم الدعوة . ولهذا استنكروا ما جاء
به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعجبوا منه ونسبوه إلى أنه أتى بدين
محدث لا يعرف ، وقالوا إن هذا شيء عجاب ما سمعنا بهذا في الملة
الآخرة ، وقالوا إننا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون . ولو
كان عندهم علم بدعوة الأنبياء عليهم السلام على ما هي عليه لعرفوا أن
دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نمط دعوتهم فلماذا أسلم كثير من
العرب لما سمع من أهل الكتاب الشهادة له بالتصديق ولم يكن كفرهم إنكاراً
للصانع ولا لؤلؤهيته ولا ادعوا في الأصنام أنها تخلق وتدير كما ادعى
نمرود وقومه بل كانوا يقرون لله بالآلهية وأنه الخالق المدبر كما قال الله
تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ وكانوا يزعمون في
الأصنام أنها تشفع لهم عند الله كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿ ما نعبدهم

إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴿ وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك
لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . كما قال الله تعالى ﴿ وما يؤمن
أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ .

فعرف بذلك أن كفرهم كفر إشراك لا كفر إنكار لوجود الصانع
وإن ذلك صادر عن الجهل بما جاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام
وعدم بلوغه لهم على وجهه .

ويوضح ذلك قوله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ فإذا كان الله أعذر أهل
الكتاب بأن بعث رسولا إليهم به بعد الفترة بين لهم ما بدله الأخبار وكتموه
لئلا يحتجوا بقولهم ما جاءنا من بشير ولا نذير وهم كانوا أهل الكتاب
عالمين بشريعة موسى عليه السلام في الجملة غير أنهم تمسكوا بما لحقه
التبديل لكونهم قلدوا فيه أسلافهم ولم يكونوا أهلاً لتمييز الحق من الباطل
فما ظنك بالعرب الأميين الذين ليسوا أهل الكتاب ولا يدركون ما الكتاب .

تنبیه

فیما یفهم من کلام النووی فی شرح مسلم

الذی عندی أنه لا ینبغی أن یفهم من قول النووی فی ، شرح مسلم ، فی حدیث أن رجلا قال یارسول الله این أبی قال فی النار فلما قفا دعاه فقال إن أبی وأباك فی النار : فیه أن من مات فی الفترة علی ما كانت علیه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار وليس فی هذا مؤاخذه قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت بلغتهم دعوة إبراهیم علیه السلام وغیره من الأنبیاء . أنه أراد بذلك الحكم علی أبی النبی صلی الله علیه وآله وسلم بل ینبغی أن یفهم انه أراد الحكم علی أبی السائل وكلامه ساکت عن الحكم علی الأب الشریف^(١) .

بیان أن حدیث مسلم معلول بعلمین

ظهر لی فی حدیث إن أبی وأباك فی النار ، علمان .

«إحداهما ، من حیث الاسناد وذلك أن الحدیث أخرجه مسلم وأبو داود من طریق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضی الله عنه أن رجلا

(١) عبارة النووی ظاهرة فی غیر ما ذكره السیوطی والطاهر أن النووی یقصد من مات فی الفترة من العرب عابدا الوثن فهو فی النار لبلوغ دعوة إبراهیم وغیره إليه . فیقال له هذا صحیح فیمن بلغته الدعوة ولكن من لم تبلغه دعوة إبراهیم وإسماعیل فهو معذور وليس من أهل النار وقد ثبت أن موسى وعیسی لم یرسلا إلى العرب قائلهم

قال يارسول الله أين أبى قال فى النار فلما قفا دعاه فقال إن أبى وأباك فى النار ، وهذا الحديث تفرد به مسلم عن البخارى وفى أفراد مسلم أحاديث تكلم فيها يوشك أن يكون هذا منها .

(أما أولا) فثابت وإن كان إماما ثقة فقد ذكره ابن عدى فى ، كامله ، فى الضعفاء وقال إنه وقع فى أحاديثه نكرة وذلك من الرواة عنه فإنه روى عنه الضعفاء وأورده الذهبى فى ، الميزان ، .

(وأما ثانيا) فحماد بن سلمة وإن كان إماما عابدا عالما فقد تكلم جماعة فى روايته وسكت البخارى عنه فلم يخرج له شيئا فى صحيحه .

وقال الحاكم فى ، المدخل ، ما أخرج مسلم لحماد بن سلمة فى الأصول إلا حديثا عن ثابت وقد خرج له مسلم فى الشواهد عن طائفة .

وقال الذهبى حماد ثقة له أوهام وله مناكير كثيرة وكان لا يحفظ فكانوا يقولون إنها دست فى كتبه وقد قيل أن ابن أبى العرجاء كان ربيبه وكان يدس فى كتبه .

ومن مناكيره ما رواه عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ . قال أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل ، هذا الحديث أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال إنه لا يثبت وأنه مما دسه ربيبه عليه والمناكير فى رواية حماد كثيرة .

وإنما أوردت هذا لأنه بسند الحديث الذي نحن في تعليقه ، ومن أنكر رواياته ما رواه عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا رأيت ربي جعداً أمرد عليه خضراً ، وهذا أيضاً أورده ابن الجوزى فى الموضوعات .

فبان بهذا أن الحديث المتنازع فيه لا بد أن يكون منكراً وقد وصفت أحاديث كثيرة فى مسلم بانها منكورة .

العلة الثانية ، من حيث المتن وهى مبنية على مقدمة وذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سأله اعرابى وخاف من إفصاح الجواب له فتننته واضطراب قلبه أجابه بجواب فيه تورية وايهام كالحديث الذى أخرجه البخارى أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأله رجل عن الساعة فنظر إلى أحدث القوم سداً فقال إن يستنفذ هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة .

قال قال العلماء كان الأعراب يسألونه كثيراً عن الساعة فخشى صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لا أعلمها فتننتهم وشكهم فأجابهم بجواب فيه تورية ، ومراده إن بلغ هذا الغلام أقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم بأن يموتوا وقيام ساعة كل واحد موته .

إذا عرف ذلك فالذى عندى فى هذا الحديث ، إن أبى وأباك فى النار ، ليس رواية باللفظ بل رواها الراوى بالمعنى فوهم ذلك وإنما تكلم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكلام موزى ففهم منه السامع ما قاله .

(١) أى الذى فى الطريق الآخر .

وقد وضح لنا من ذلك طريق آخر للحديث رواه معمر عن ثابت فلم يذكر أن أبي وأباك في النار وهذا اللفظ ^(١) لادلالة فيه على والده صلى الله عليه وآله وسلم بأمره ألبته وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمر لم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس فقد أخرج البزار في مسنده ، والطبراني في المعجم الكبير ، بسند رجاله رجال الصحيح عن سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أين أبي قال في النار قال فإين أبوك قال حيث مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، وهذا حديث صحيح وفيه فوائد .

منها : بيان أن السائل كان أعرابيا وهو مظنة خشية الفتنة والردة .

منها : بيان جواب فيه إيهام وتورية إذ لم يصرح فيه بأن الأب الشريف في النار إنما قال حينما مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، وهذه جملة لا تدل بالمطابقة على ذلك إنما قد يفهم منها ذلك بحسب السياق والقرائن وهذا شأن التورية والايهامات فكره صلى الله عليه وآله وسلم أن يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لأبيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفس من كراهة الاستنثار عليها . ولما كانت عليه الاعراب من غلظ القلوب والجفاء فأورد له جوابا موهما تطيبيا لقلبه فكانت هذه الطريق من طرق الحديث في غاية الاتقان ولهذا قال بعض الحفاظ لو لم نكتب الحديث من ستين وجها ما عقلناه يعنى اختلاف الرواة في إسناده

والفاظه .

وقد وقع في الصحيحين أحاديث كثيرة من هذا النمط وهم فيها الرواة في بعض الألفاظ فبينها النقاد ، منها ، حديث مسلم في نفي قراءة البسمة وقد أعله الشافعي بذلك وقال إن الثابت من طريق آخر نفي سماعها ففهم منه الراوى نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه في أشياء أخرى مبينة في كتب الحديث .

فبان بهذا تعليل الحديث من هذه الحيثية ولا يكون ذلك قد حافى صحة الحديث من أصله بل في هذا اللفظ فقط وكذلك حديث أمي مع أمكما ، على ضعف إسناده لا يلزم منه كونها في النار لجواز أن يكون أراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك تورية وإيهاما تطيببا لقلوبهما .

إشكال وجوابه في حديث إن أب السائل في النار

(فإن قلت) قد تقرر أن أهل الفترة لا يقضى عليهم بكونهم في النار حتى يمتحنوا فكيف حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أب السائل بأنه في النار .

(قلت) ظهر لى عن ذلك أربعة أجوبة :

(الأول) أن هذا الحديث متقدم على الأحاديث الواردة في أهل الفترة فيكون منسوخا بها كما أخبر أولا عن أطفال المشركين بأنهم في النار

ثم نسخ ذلك .

(الثاني) أنا لم نقطع بعدم النار في أهل الفترة بل قلنا يمتحنون فمن أطاع دخل الجنة ومن لا دخل النار ، فيمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أطلع في حق هذا بخصوصه على أنه يعصى عند الامتحان فيدخل النار وأوحى إليه بذلك فحكم بأنه من أهل النار .

(الثالث) أنه يمكن في هذا الرجل أن يكون ممن دخل يثرب والشام واجتمع بأهل الكتاب وبلغته دعوة موسى وعيسى عليهما السلام وأصر على الشرك فلم يعذر .

(الرابع) أنه يمكن أن يكون عاش حتى أدرك بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبلغه ذلك وأصر ومات في عهده وهذا لا عذر له ألبتة .

(فإن قلت) فأبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دخلا يثرب واجتمعا باليهود فلزمهما ما قلت في الجواب الثالث .

(قلت) الجواب عنهما من ثلاثة أوجه :

(الأول) أنه يحتاج إلى ثبوت أن اليهود دعوهما إلى الدين وهذا لم ينقل فتحكم عليهما خصوصا أنهما لم يقيما بالمدينة إلا أياما قلائل لا تسع ذلك . أما عبد الله فإنه مر بها في سفره إلى الشام ورجع فدخلها وهو مريض فأقام بها شهرا مريضا ومات وهذه المدة مع المرض لا تسع اجتماعا بأحد ولا سؤالا عن دين وأما أمنة فقدت المدينة زائرة لأقاربها فأقامت بها أيضا شهرا ومعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرجعت

فمأنت بالطريق .

(الثاني) أن نقول أي مانع من أن يكون قد دعيا إلى الدين فأجابا وإن لم ينقل الأمران وكيف ينسب إليهما الامتناع وقد بشرأ من أهل الكتاب والكهانة وغيرهم بنبوة ولدهما قبل ولادته وصدقأ بذلك وبشرا به وبشرت به أمه قبل ولادته وعند ولادته وبعد ولادته وصدقت بذلك وقالت الأبيات السابقة عند موتها وهل ينسب إليها الشرك وقد أخبرت عن ولدها أنه يبعث رسولا عن الله بالتوحيد وكسر الأصنام وصدقت بذلك وهل الإسلام شيء غير هذا التصديق .

(الثالث) أنا ندعى أنهما كانا من أول أمرهما على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام وأنهما لم يعيدا صنما قط وسنقرر ذلك قريبا بأدلة .

تذنيب

من اللطائف في أمرهما أنهما ماتا شابيين فلم يبلغا سنا تقوم به الحجة عليهما كما قال تعالى ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ قيل هو ستون سنة وقيل أربعون سنة وفي الحديث ، لقد أعذر الله إلى امرئ آخره من العمر ستين سنة ، .

وفي الأثر قد تمت حجة الله على ابن الأربعين ، وكان عمراً والد

النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توفي خمسا وعشرين سنة^(١) كما قال
الواقدي إنه أثبت الأقاليل في سنه وكان عمر أمه حين توفيت قريبا منه .

في الدليل على أن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده
إلى إبراهيم عليه السلام كانوا على الحنيفية دين إبراهيم
ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان

أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ ﴾ قال فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته في ولده فلم
يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سفیان بن عيينة أنه سئل
هل عبد أحد من ولد اسماعيل الأصنام قال لا ألم تسمع قوله تعالى
﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ .

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن ابن جريج في قوله تعالى
﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ قال فلن يزال من ذرية
إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى .

(قلت) ويمكن أن يحمل على ذلك قوله تعالى ﴿ وَتَقَلِّبُكَ فِي
السَّاجِدِينَ ﴾ فقد أخرج ابن سعد في الطبقات ، والبزار والطبراني وأبو

(١) وقيل كما تقدم ثمانى عشرة سنة

نعيم في ، الدلائل ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى
﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ قال من نبي إلى نبي ومن نبي إلى نبي
حتى أخرجتك نبيا . ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في أصلاب الأنبياء
عليهم السلام ويمكن أن يحمل على أعم منهم وهم المصلون الذين لا زالوا
في ذرية إبراهيم لوصح أنه ليس في اجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انبياء بكثرة بل إسماعيل وإبراهيم ونوح وشيث وآدم وأدريس عليهم السلام
في قول .

في أن آباءه صلى الله عليه وآله وسلم من خير القرون

ومما يدل على ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، بعثت
من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى
كنت فيه ، أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ، إن الله اصطفى من ولد إبراهيم
إسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من
بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم ، أخرجه مسلم
من حديث وائلة فالخيرية والاصطفاء يشعران بالإسلام .

وطريقة أخرى فى الاستدلال أخرج الإمام أحمد فى ، الزهد ،
والخلال فى ، كرامات الأولياء ، بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما قال ، ما خلت الأرض من بعد نوح

من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهرين حوشب قال ، لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلا زمن إبراهيم فإنه كان فيه وحده .

وأخرج أحمد في ، الزهد ، عن كعب قال لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب .

وأخرج الخلال في ، كرامات الأولياء ، عن زاذان قال ، ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

وهذه الآثار مع أثر ابن جريج السابق في ، أنه مازال من ذرية إبراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله ، تدل على أن أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا على الحنيفية من زمن إبراهيم عليه السلام .

وبيان ذلك أنهم لو كانوا على الكفر فلا يخلو إما أن يكون الذين على الفطرة ويدفع بهم - غيرهم أولا يكون أحد كذلك ، والثاني باطل لأنه خلاف الوارد في الآثار الصحيحة ، والأول باطل أيضا لأنه يلزم عليه أن يكون غيرهم خيرا منهم إذ لا يكون كافر خيرا من مسلم وهذا باطل لمخالفته حديث البخاري المصدر به هذا الفصل وهو أنه بعث من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا إلى القرن الذي كان فيه . فهذا يدل على أن كل أصل من أصوله خير قرنه ولا يكون كذلك وهو كافر وفي قرنه مسلم

فتعين أن يكون مسلما والأحاديث متواترة بمعنى حديث البخارى .

أخرج البيهقي فى « دلائل النبوة » عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما فاخرجت من بين أبوى ولم يصبنى شىء من عهد الجاهلية خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أمى فانا خيركم نفسا وخيركم أبا . »

وأخرج أبو نعيم فى « دلائل النبوة » من طرق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لم يلتق أبواى على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما . »

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بنى عبد مناف بنو هاشم وخير بنى هاشم عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت فى خيرهما ، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة وقد أوردتها فى أول « كتاب المعجزات » .

وأخرج ابن أبى عمرو العدنى^(١) فى مسنده عن ابن عباس رضى

(١) ابن أبى عمرو هو أبو عبد الله محمد بن يحيى العدنى المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى .

الله تعالى عنهما ، أن قریشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل
قبل أن يخلق آدم بالفى عام يسبُح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه . قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فاهبطنى الله إلى الأرض
فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح وقدرنى فى صلب
إبراهيم ثم لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة إلى
الارحام الطاهرة حتى أخرجنى من بين أبوى ولم يلتقيا على
سفاح قط .

وأخرج البيهقى فى ، الدلائل ، والطبرانى فى ، الأوسط ، عن
عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
، قال لى جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاريها فلم أجد رجلا
أفضل من محمد ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم ، قال
الحافظ ابن حجر فى ، أماليه ، بعد أن أورد هذا الحديث لوائح الصحة
ظاهرة على صفحات هذا المتن .

كلام الأشعري فى أبي بكر الصديق

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة : وأبو بكر مازال
عين الرضى منه . فاختلف الناس فى مراده بهذا الكلام . فقال بعضهم إن
الأشعري يقول إن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كان مؤمنا قبل
البعثة وقال آخرون : بل أراد أنه لم يزل بحالة غير المغضوب عليه فيها
لعلم الله تعالى بانه يصير من الأبرار . قال الشيخ تقي الدين السبكي لو

كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة رضى الله تعالى عنهم في ذلك وهل العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق رضى الله تعالى عنه لم تحفظ منه في حق غيره فالصواب أن يقال إن الصديق رضى الله تعالى عنه لم تثبت عنه حالة كفر بالله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقر انه ولهذا خصص الصديق رضى الله عنه بالذكر عن غيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم انتهى .

(قلت) وهذا الذى قاله السبكي في الصديق رضى الله تعالى عنه نقوله نحن في أبوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده مع ان الصديق رضى الله تعالى عنه وزيد بن عمرو بن نفيل إنما حصل لهما التحنن في الجاهلية ببركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانهما كانا صديقين له قبل البعثة وكانا يودانه كثيرا .

فيمض نص على إسلامه من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريحا

أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وجزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكرهم إلا بخير .

قال السهيلي في الروض الأنف ، يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ، لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمنا وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحج .

وأخرج الزبير بن بكار مرفوعاً ، لا تسبوا مضر ولا ربيعة
فإنهما كانا مؤمنين ، .

وقال ابن سعد فى ، الطبقات ، أخبرنا خالد بن خدّاش حدّثنا عبد
الله بن وهب أخبرنى سعد بن أبى أيوب عن عبد الله بن خالد رضى الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا تسبوا مضر
فإنه كان قد أسلم ، .

وقال السهيلي فى (الروض الأنف) أن كعب بن لؤى أول من
جمع يوم العروبة وكانت قريش تجتمع إليه فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم
بمبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويبلغهم أنه من ولده ويأمرهم
بإتباعه والإيمان به وينشد فى هذا أبياتا منها قوله :

يا ليتنى شاهد نجواء دعوته إذا قريش تبغى الحق خذلاناً

وقد ذكر الماوردى هذا الخبر عن كعب فى ، كتاب الأحكام ، له

انتهى .

(قلت) أخرجه أبو نعيم فى ، دلائل النبوة ، بسنده عن أبى سلمة
ابن عبد الرحمن بن عوف وفى آخره وكان بين موت كعب ومبعث النبى
صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة وستون سنة . وقد سقت الخبر بلفظه فى
أول ، كتاب المعجزات ، .

في أن عبد المطلب كان على الحنيفية

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضی الله تعالى عنهما أن عبد المطلب قال لما قدم أصحاب الفيل وقد صعد جبل أبي قيس .

لا هم أن المرء يمنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبيهم ومجالهم أبدا محالك

واررده جماعة بلفظ :

فانصر على آل الصليب وعابديه اليوم لك

وهذا يدل على أنه كان على الحنيفية حيث تبرأ من الصليب

وعابديه .

وفي طبقات ابن سعد بأسانيده أن عبد المطلب قال لام أيمن

وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يا بركة لا تغفلي

عن ابني فاني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وإن أهل

الكتاب يقولون ابني نبي هذه الأمة ، .

في بعض من تعنف في الجاهلية

أخرج البزار والحاكم في ، المستدرک ، وصححه عن السيدة

عائشة رضی الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

، لا تسبوا ورقة بن نوفل فإني قد رأيت له جنة أو جنتين ، .

وأخرج البزار عن جابر رضى الله تعالى عنه قال سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقيل يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول ديني دين إبراهيم والهي إله إبراهيم يسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ذاك أمة وحده يحشر بيني وبين يدي عيسى بن مريم ، . وسألناه عن ورقة بن نوفل كذلك فقيل يا رسول الله كان يستقبل القبلة ويقول الهي اله زيد ودينى دينه فقال رأيتہ يعيش فى بطن الجنة عليه حلة من سندس ، .

وأخرج أبو نعيم فى « الدلائل » عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن قيس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال فى خطبته سيجيئكم حق من هذا الوجه وأشار بيده نحو مكة قالوا فه ما هذا الحق ؟ قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم إلى كلمة الاخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد فإن دعاكم فأجيبوه ولو علمت أنى أعيش إلى مبعثه لكنت أول من يسبقهم إليه .

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عبسة السلمى قال رغبت عن آلهة قومي فى الجاهلية وعلمت أنها الباطل يعبدون الحجارة . وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام قال لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يهود يثرب يخبرونه وتقدم حديث ، لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم ، .

وأخرج الخرائطى وابن عساكر فى تاريخه عن جامع أن الأوس ابن حارثة كان يذكر دعوة الحق وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وأوصى بذلك ولده مالكا عند موته . وقد سقت الخبر بتمامه في ،
المعجزات ، .

وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في ، الدلائل ، من طريق
الشعبي عن شيخ من جهينة أن عمرو بن حبيب الجهني ترك الشرك في
الجاهلية وصلى لله وعاش حتى أدرك الإسلام : وسقت الخبر أيضا بتمامه
في ، المعجزات ، .

وأخرج الطبراني في ، الكبير ، بسند رجاله ثقات عن غالب بن
ابجر رضى الله تعالى عنه ^(١) قال ذكر قس عند رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم ، فقال رحم الله قسا قيل يا رسول الله تترحم على قس
 قال نعم إنه كان على دين أبي إسماعيل بن إبراهيم ، .

فيما كانت عليه العرب قبل الإسلام

قال الشهرستاني في ، الملل والنحل ، كانت العرب على قسمين
معطلة ومحصلة : فالمعطلة أصناف منهم : من أنكر الخالق والبعث
والإعادة وقال بالطبع المحيي والدهر المغنى وهم الذين أخبر الله تعالى
عنهم بقوله (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما
يهلكنا إلا الدهر)

ومنهم : من أقر بالخالق والابتداء والابداع وأنكر البعث

(١) في تعريده أسد الغابة غالب بن ابجر ويقال غالب بن بديخ له أحاديث عند البصريين .

والإعادة وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ قال من يحيى العظام
وهي رميم ﴾ ومنهم : من أقر بالخالق والابداع ونوع من الإعادة وأنكر
الرسول وعبد الأصنام وزعم أنها شفعاء له عند الله في الآخرة وهم أكثر
العرب إلا شذمة منهم .

وأما المحصلة فكانوا على ثلاثة أنواع من العلوم ، الأول (علم
الأنساب والتواريخ والاديان) ويعدونه نوعا شريفا خصوصا معرفة أجداد
النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاطلاع على ذلك النور الوارد من إبراهيم
إلى إسماعيل وتواصله في ذريته إلى أن ظهر بعض الظهور في أساوير
عبد المطلب وببركة ذلك النور لهم النذر في ذبح ولده . وببركته كان
يأمر ولده بتترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن
دنيات الأمور . وببركته قال لابرهة إن لهذا الدين ربا يحفظه . قال وقد
صعد أبا قيس :

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم ومخالهم أبدا محالك

وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه انه لن يخرج من الدنيا
ظلم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه
عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال ، والله إن وراء هذه الدار
دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء
بإساءته .

ومما يدل على اثباته المعاد والمبدأ أنه كان يضرب بالقداح على

عبد الله ابنه ويقول يارب أنت الملك المحمود . وأنت ربي الملك المعبود .
من عندك الطارف والتلبد .

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة
لما أصابهم ذلك الجذب أمر أبا طالب ^(١) أن يحضر بالنبي صلى الله عليه
وآله وسلم وهو صغير فاستسقى به وأنشد في ذلك أبو طالب قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل

(والنوع الثاني) علم الرؤيا (والنوع الثالث) علم الأنواء وهو
علم الكهانة والقيافة .

ومن العرب من يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم
سنن وشرائع . فممن كان يعتقد الدين الحنيفي زيد بن عمرو بن نفيل وقس
ابن ساعدة الإيادي وعامر بن الظرب العدواني .

ومما كان قد حرم الخمر في الجاهلية قيس بن عاصم التميمي
وصفوان بن أمية الكناني وعقيب ابن معبد يكره الكندي .

وممن كان يؤمن بالخالق وبخلق آدم عليه السلام طالحة بن ثعلب
ابن وبرة بن قضاة ومنهم زهير بن أبي سلمى وكان يمر بالعضاه وقد
أرقت بعد يبس ويقول لولا أن تسبني العرب لآمنت أن الذي أحياك بعد
يبس سيحي العظام وهي رميم ثم آمن بالبعث بعد ذلك وقال في قصيدته
المشهوره .

(١) قال في السوابغ إلا أن أبا طالب لا ينجو لأنه أدرك البيعة ولم يؤمن .

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يَعَجَلُ فَيُنْقَسَمُ

وكان بعض العرب إذ حضره الموت يقول لولده ادفنوا معي راحلتى حتى أحشر عليها فإن لم تفعلوا حشرت على رجلى .

وكانوا فى الجاهلية يحرمون أشياء نزل القرآن بتحريمها ككنكاح الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات وكانوا يطوفون ويسعون ويلبثون ويفعلون المناسك كلها ويهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الأشهر الحرم ويغتسلون ويغسلون أمواتهم ويكفنونهم وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشرة التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام ويوفون بالعقود ويكرمون الضيف ويقطعون يد السارق وكان دين إبراهيم قائما والتوحيد شائعا فى صدر العرب وأول من غير ووضع عبادة الأصنام عمرو بن لحي وهذا كله كلام الشهرستاني .

قال ابن الجوزى فى « التلقيح » تسمية من رفض عبادة الأصنام فى الجاهلية ابو بكر الصديق . زيد بن عمرو بن نفيل . عبد الله بن جحش عثمان بن الجويرث ورفقة بن عمرو بن نوفل بن البراء . أبو بكر أسعد الحميرى . قس بن ساعدة الايادى . أبو قيس بن صرمة .

فى أن آباء الرسول كلهم كانوا موحدين

ثم رأيت الإمام فخر الدين الرازى احتج بما احتججت به من أن آباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم كلهم كانوا على التوحيد فقال فى كتابه

، أسرار التنزيل ، مانصه قيل أن ، آزره لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه منها أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا ويستدل عليه بوجوه (منها) قوله تعالى ﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾ فقيل معناه أنه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد وبهذا التقرير فالآية دالة على أن جميع آباء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مسلمين وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين .

وأقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ على وجوه أخرى وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان .

ومما يدل على أن آباء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام ، لم أزل أنقل من أصـلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات ، وقال الله تعالى ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا - هذا كلام الإمام بحروفه والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

تمت رسالة ، التعظيم والمنة ، المباركة والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

مباحث رسالة التعظيم والمنة

رقم الصفحة	
٣	(١) الكلام في حديث الإحياء
٢٠	تلخيص وبيان لكون الحديث ضعيفا لا موضوعا
٢١	فصل في الكلام على حديث الزيارة وأنه معلول
٢٤	حاصل ما تقرّر في حديث الإحياء
٢٥	(٢) الكلام في أن أمه صلى الله عليه وآله وسلم كانت موحدة
٢٧	الجمع بين حديث ، أمي مع أمكما ، وكونها موحدة
٢٨	الجمع بين عدم الإذن بالاستغفار لها وكونها موحدة
٢٩	بيان إيمان أمهات الأنبياء
٣١	أن أمه من أهل الفترة
٣٢	دليل رابع على نجاتها
٣٢	دليل خامس على نجاتها
٣٣	الرد على من يقطع بأن الأبوين ليسا من أهل الجنة
٣٣	القول بأن أطفال المشركين في الجنة
٣٤	القول بأن أطفال المشركين في المشيئة
٣٥	القول بالامتحان في الآخرة لأطفال المشركين وأهل الفترة
٣٧	نكتة في آية ، ولا تزر وازرة .. ،
٣٩	مذهب أهل السنة فيمن هو قبل الدعوة
٤٠	كلام الأصوليين في قاعدة وجوب شكر المنعم
٤٢	العرب غير مكلفين بشريعة موسى وعيسى .. الخ
٤٤	زيادة إيضاح لما تقدم

رقم الصفحة	
٤٦	تنبيه فيما يفهم من كلام النورى الخ
٤٦	حديث مسلم معلول بعلمين
٥٠	إشكال وجوابه فى حديث أن أبى السائل فى النار
٥٢	تذنيب
٥٣	فى أن آباء الرسول على الحنيفية
٥٤	فى أن آباءه من خير القرون
٥٧	كلام الأشعرى فى الصديق
٥٨	فيمن نص على إسلامه من أجداده
٦٠	فى أن عبد المطلب كان على الحنيفية
٦٠	فى بعض من تحلف فى الجاهلية
٦٢	فبما كانت عليه العرب قبل الإسلام
٦٥	فى أن آباء الرسول كانوا مرشحين
٦٧	فهرست الكتاب

رقم الإيداع

٢٠٠٠/١٤٨٣٤

الترقيم الدولي

I.S.B.N.

977-5259 -47 -9